

## سؤال الفلاسفة عن الجدارة بالحكم: الشعب أم النخبة؟

بين دكتاتورية النخب وأوهام الشعب تضيع أفكار الحق والجمال والخير



أي مدينة نؤسس لها (لوحة للفنانة نور بهجت)

أما في معناها الثاني فهي فعلا مجموعة اجتماعية تضم أولئك الذين يحكمون الآخرين، ويشترعون حكمهم واستغلالهم إياهم، فهم يمثلون طبقة مهيمنة موجودة فعلا، ولكن تميزها المزعم الذي يشرع هيمنتها تلك مفقود. فالتفوق الدراسي الذي جعلته فرنسا مثلا معيارا لاختيار من يسبرون البلاد ليس صائبا في رأيه، إذ دلت التجربة أن المتفوقين يديرون ظهورهم للسياسة ويفضلون ممارسة معارفهم في مجالات اختصاصاتهم، بينما ينصرف الفاشلون منهم للإسكاف بدواليب الدولة.

ما يعني أن الديمقراطية، التي تعني حكم الشعب عن طريق الشعب لأجل الشعب، أوصلت النخب إلى السلطة، فتحوّلت إلى حكم النخبة للشعب، وهو ما يناقض فكرة الديمقراطية نفسها. ويبقى السؤال أعلاه قائما: أيهم أجدر بالحكم؟

نواب، ولكن بشروط، كقصر المدة النيابية والتجديد، وإمكانية تخيبتهم إذا خلفوا ما عاهدوا الشعب عليه، وتبقى النخبة في رأيه مجرد منفذين لإرادة الشعب.

### على غرار أفلاطون فلاسفة كثيرون يدعون إلى حكم النخب لأنه لا يمكن أن نعهد بالحكم لشعب يخضع للأوهام

ولكن ما هي النخبة؟ يقول الفيلسوف جاك رانسبير إنها تحتل معنيين: بالمعنى الأول، هي مجرد تشكيلة مثلي، تضم من تميز أكثر من سواه في هذا النشاط أو ذاك، كالرياضيات والسينما وكرة القدم وسواها، ولكنها لا تشكل مجموعة اجتماعية.

تقسيم ثابت. وفي رأيه أن خير نظام هو النظام الجمهوري لأن الجمهورية تقصي التمييز الطبقي، حيث يمكن لأي مواطن أن يرتقي إلى المناصب العليا.

كما يدعو إلى إلغاء الملكية وتعويبها ببنية أفقية يكون فيها العامل والمالك واحدا.

أما روسو (1712-1778) فهو يرى أن المصدر الوحيد المشروع الذي يستطيع وضع القوانين هو الشعب، والسيادة لا تكون إلا له، وهو الوحيد الذي تصدر عنه إرادة عامة لا تراعي إلا المصلحة المشتركة. وخلافا لـمونتسكيو الذي يقترح نوابا عن الشعب، يجزم روسو أن الشعب، في اللحظة التي يمنح فيها ممثلين عنه، يفقد حريته.

ويفضل صاحب "العقد الاجتماعي" النموذج الإغريقي في أثينا، حين يلتقي المواطنون في ساحة عامة (أغورا) للمداولة واختيار المسار الذي يتبعونه. غير أن فكرة روسو لم تصمد أمام الواقع، إذ عاد ليقبل أن يكون للشعب

تلك حدود قدراته حسب مونتسكيو، فليس أمامه إلا أن يخضع لحكم النخب ويسلمها طوعا مقاليد السلطة.

### أبناء الشعب

غير أن مفكرين آخرين لا يذهبون بهذا المذهب، فـأرسطو (384-322) مثلا يؤكد في تصنيفه للأنظمة السياسية أن "الأوليغارشيا" تطابق الوضع الذي يكون فيه مالكو الثروات في سدة الحكم، وفي رأيه أن نظاما كهذا هو انحراف وكرامة، لأن الأثرياء لا يرومون سوى خدمة مصالحهم، وبما أن البسطاء يحسبونهم فإن الوضع الاجتماعي سيؤول إلى الانفجار، لأن التفاوت الاجتماعي والهوة الاقتصادية الشاسعة هما من عوامل الانحلال السياسي.

فهو يعارض إذن أستاذه أفلاطون، ويرى أن المدينة ينبغي أن تتكون من أتاس متمائلين ومتساوين، وأن من الواجب أن يشعر كل واحد منهم أنه معني بالحكم. وأرسطو في الحقيقة منشطر في هذه المسألة، جانبا الأستقراطي يدفعه إلى التمسك بانتخاب من هم الأفضل، أي أولئك الذين شغلوا مناصب تتطلب مؤهلات وأثبتوا كفاءتهم، كالعساکر مثلا، بينما يميل به جانبه الديمقراطي إلى ضرورة إشراك المواطنين، ولو عن طريق القرعة، حتى تتناوب وضعياتهم بين محكومين وحاكمين. غير أنه يصير على استبعاد ذوي المال، لأن من وجوه الحرية في اعتقاده أن يكون الفرد بالتناوب حاكما ومطيعا، وهذا لا يمكن أن ينطبق على الأثرياء لأنهم لا يريدون الطاعة ولا يقرون بها، بل يسعون جهدهم لإبقاء الوضع على حاله.

مفكر آخر هو بيير جوزيف برودون (1809-1865) يعترض بشدة على حكم النخبة، فقد بين في كتابه "نظام التناقضات الاقتصادية أو فلسفة البؤس" أن التقدم لا يستفيد منه إلا عدد محدود من المظلومين الذين يؤلفون نخبة الشعب، بينما لا يعرف الشعب غير التراجية والاستغلال.

وفي اعتقاده أن التفاوت ليس مسألة طبيعية بل هو نتاج التاريخ والعنف، ومن ثم يمكن بل يلزم القضاء عليه. ولكي يقوم مجتمع متساو فعلا، ينبغي على البشر أن يتعاونوا دون أن يسودهم عرف أو ملك. وهو ما عرف عنده بنظرية التبادلية المتبادلة، وبرودون الذي كان يوصف بالانارشيست، يحمل مشروعا قوامه صنع الإنسان منذ بداية مراحل التعليم الأولى، وتعليم واسع الانتشار يحقق للجميع المساواة في الوظائف وتكافؤ المهامات. ويدعو، مثل أفلاطون، إلى توزيع عادل في الكفاءات، ولكن دون

إذا استثنينا الشعوب الواقعة تحت سلطة أنظمة استبدادية، فإن معظم شعوب الأرض غير راضية عن حكامها، وعادة ما تكون الانتخابات عقابا للحاكم المتخلى، وتنصيبا لخلف سرعان ما ييدي شعبه اعتراضا عليه، والدعوة إلى إسقاطه في الانتخابات اللاحقة. فمن الذي يصلح حقاً أن يقود شعبه؟ الأستقراطي الثري، أم المثقف ابن الشعب، أم خريج المعاهد العليا، أم الفيلسوف؟

بقية الناس، وذلك ليس امتيازاً فقط بل هو أيضا واجب، فادواء الناس لا تنتهي إلا متى وصل الأصفياء والفلاسفة إلى السلطة، أو متى بدأ قادة المادئ، بفعل إرادة إلهية، في التفلسف. وفي اعتقاده أن حيازة الفلاسفة الحكمة ترغمهم على الحكم.

كذلك شارل لويس دو سوغوندا الشهير بمونتسكيو (1689-1755) أحد أعلام الأنوار، ففي رأيه أن الشعب أعمى ولا بد أن يقوده المستنيرون. هذا الفيلسوف الليبرالي، صاحب "روح القوانين" الذي استلهم منه دول أوروبية دساتيرها، كان هو أيضا سليل النبلاء، فقد كان بارونا في لايريد قرب مدينة بورجو، ومن الطبيعي أن ينظر إلى الشعب نظرة استعلاء، إذ كان يقول إن الشعب يقع دائما تحت سلطة الانفعالات والغلق، لطبع فيه، ولا يمكنه أن يحكم على أشياء تقع تحت المعنى، ما يعني أن نظره قصير، والمسائل التقنية فوق مداركه.

ومن ثم كان انتقاد مونتسكيو للديمقراطية، وإيثاره نمطا تشريعيًا مستوحى من الملكية البرلمانية الإنجليزية، حيث يقترح سلطة تشريعية مؤلفة من غرفتين، واحدة للنبلاء، وأخرى لمثلي الشعب، ما يضمن اعتدالا لا تكون الحياة السياسية سليمة من دونه.

ولكن من يضمن أن النخبة المستنيرة ستحترم الحريات الفردية مثلا، لاسيما أن من يحاسبونهم لا يملكون أسباب التمييز بين حق وباطل، ما دام قد وصفهم هو نفسه بالعمى والانتقاد للمواقف

الانفعالية؟ يرد مونتسكيو على منتقديه بأن الشعب إعمى ولكنه يملك حاسة الشم، يدرك بحاسته لمن ينبغي أن يعهد بجزء من سلطته، لأن له قدرة طبيعية على تمييز الاستحقاق، ينطلق ذلك على المشرعين منطلقا ينطبق على الوظائف التي تقتضي الخبرة والتجربة. فالشعب في نظره يستطيع التمييز بين قائد عسكري جيد وقاض عادل، وعادة ما يحكم في دور إيجابي لخدمة المجتمع بما يملكه من موهبة.

وعرضت الفنانة مكي مجموعة من اللوحات التي تعبر عن علاقتها مع الشاعر وكاتب أن يشعر بالمسؤولية تجاه مجتمعه ووطنه. بل تجاه الإنسانية كلها بتوظيف ما لديه من إمكانيات وملكات إبداعية ليعبر عن التحدي الذي يواجههم وإن كانت من رؤيته ووجهة نظر، ويتعاون مع غيره من المبدعين ليكون له دور إيجابي لخدمة المجتمع بما يملكه من موهبة.

وأشارت مكي إلى تجربتها مع المكتب الثقافي والإعلامي للمجلس الأعلى للشؤون الأسرة بالشارقة حوارا حول "الفنون". في ظل الأزمات الإنسانية، ضمن جلسات منصة الإثنين الثقافية، والذي استضاف فيه الفنانة التشكيلية نجاة حسن مكي والفنان المسرحي سيف الغانم، وأدارت الحوار فاطمة محمد.

واستهلكت مكي الحوار بحديثها عن أثر جائحة كورونا على مسارها الفني اليومي فقالت "لم يتغير مساري اليومي في إنتاج لوحة تعكس مشاهد وحالات تمر بها الحياة وتجاوب معها باللون والمساحة التي تتيجها لي اللوحة.. مربعة كانت أم دائرية". وأشارت مكي إلى تجربتها مع المكتب الثقافي والإعلامي بمشاركتها مع مجموعة من الأديبات في رابطة أديبات الإمارات، وأديبات من دول الخليج العربي بتأليف الكتاب الإلكتروني "حديث العزلة" الذي يتحدث عن واقع الوضع الصحي العالمي الحالي، والحجر الذي تسبب به على الحركة المعتادة للأفراد في كل المجتمعات، وذلك من خلال نصوص أدبية عكست فكر ومشاعر كل كاتبة في كتاب تضمن لوحات تشكيلية لعدد من فنانات الإمارات كانت بمثابة فواصل فنية بريشة فنانسات ومبدعات إماراتيات في الكتاب.

وشاركت الفنانة بربشة فنانسات ومبدعات في الكتاب، حيث ترى أن على كل فنان

أبوبكر العبادي  
كاتب تونسي

من الأجدر بالحكم؟ سؤال طرح منذ القدم وتجدد فيه الفلاسفة حد الاختلاف. فقد أشاره أفلاطون (428-348 ق م) وكان سليل نسب وحسب، فهو من أسرة نبلاء من أثري أهالي أثينا، ولكنه كان يميل إلى انتخاب الأفاضل، ليس من جهة ثرائهم المادي، بل من جهة ثرائهم الفكري.

في جمهوريته، يتخيل أفلاطون مدينة فاضلة يحكمها العدل، ويسوسها فلاسفة ملوك، إذ ينطلق من فكرة مفادها أن المجتمع مكون من طبقات ثلاث: الحرفيون وهم ليسوا سوى رغبة وغرائز؛ والحراس الذين يحمون المساكن وهم يتحلون بالقوة والشرف؛ ثم الفلاسفة، الذين يملكون الحكمة والعقل، وهم المؤهلون في تقديره لقيادة الجميع.

### الأولوية للنخب

إذا شمل التناسق مختلف الأطراف، ونهض كل واحد بما يوكل إليه سارت الأمور على ما يرام، وساد العدل في المدينة. بيد أن تلك البنية الهرمية تتأسس أيضا على عدم التكافؤ في المعرفة، ولا يمكن في تصوره

أن نعهد بالحكم لشعب يخضع لكل الأوهام، كما لا يمكن أن نعهد به للمحاربين، رغم شجاعاتهم، لأنهم بعد تربية جسمانية مكثفة يفقدون القدرة على التمييز بين الخير والشر، ولا يبدون اهتماما بالحقيقة.

عندئذ لا يبقى إلا الفلاسفة لقيادة المدينة، لأنهم تلقوا

تربيا فكريا طويلا، وصار بمقدورهم أن يتعاملوا بنزاهة مع أفكار الحق والجمال والخير، تلك التي يعتبرها أفلاطون حقائق واقعية تتعدى المظاهر. أولئك الأفراد الذين ينتسبون إلى طبقة عليا، وتلقوا تربية متينة، يملكون كفاءات تؤهلهم لأن يكونوا على رأس



## الفنون تقوم بدورها الطبيعي زمن الأزمات

في عودته بعد فترة طويلة عن انقطاعه من خشية المسرح، فهو يرى أن عدم وجود عمل يجذبه لبقده ويتناسب مع خبرته المسرحية ومع تاريخه، حيث قال "فإنما أن أقدم دورا له أثر حقيقي على المجتمع ويعكس شخصيتي كممثل له كيان راض عنه، أو أفضل أن أبقى في المنزل".

### جائحة كورونا جعلت كل فنان وشاعر وكاتب يشعر بالمسؤولية تجاه مجتمعه ووطنه وتجاه الإنسانية كلها

جاءت مبادرة منصة الإثنين الثقافية من المكتب الثقافي والإعلامي في إطار اللبائنات الاقتصادية والعمل في بعد، ويتضمن هذا الصالون الثقافي لقاءات أسبوعية، بواقع لقاء كل إثنين، وتتوزع المناقشات وأطروحات اللقاء بين الشأن الثقافي والإبداعي والاجتماعي والإعلام الرقمي، وطرح القضايا الأسرية في مختلف أوجه الحياة، وذلك بمشاركة نخبة من المتخصصين والخبراء عن تجربته في العمل الوطني بالتعاون مع المكتب الثقافي والإعلامي الذي عرض خلال اليوم الوطني، والذي كان سببا

وإلحاحية ويسهم في الارتقاء بالذائقة العامة وبالشاعر والفكر. وفي الجانب الآخر تحدث الفنان سيف الغانم عن التزام الفنانين في الوقت الحاضر بأوامر وتوجهات الدولة، وهو التباعد الجسدي، مما أثر على الإنتاج الفني الحالي، وهذه أيام عصيبة ولكنها سوف تمر.

وأضاف الغانم أن طبيعة عمل الفنان الممثل وخاصة العمل المسرحي هو عمل جماعي يحتاج إلى جمهور يتفاعل معه، ومن الطبيعي أن تؤثر أي أزمة طبيعية تمر بها الدولة على كل أفراد المجتمع، ومن ضمنها الممثل.

وتابع قائلا "أنا أؤكد بل أجزم بعد انقشاع هذه الغمة سوف يكون هناك زخم هائل من الأعمال المتميزة التي تعبر عن هذه المرحلة، وكيف دخل وكيف خرج وكيف كان دور الدولة والإجراءات التي اتخذت لتفادي تفشي هذا الوباء، وكيف كان للإعلام دور إيجابي لتهدئة المجتمع، من خلال بث رسائل توعوية على لسان الشخصيات الهامة والفنانين والمؤثرين على المجتمع بشكل إيجابي".

كما أضاف الغانم أن من المستحيل أن يتم نقل المسرح إلى المنصات الإلكترونية، فالمسرح هو تفاعل مباشر بين الممثل والمتلقي وهو الجمهور، ومتى ما قطع هذا الوصل لن تكون له لذة، ونحن نلصق ذلك من خلال التسجيل الذي يثبت للمسرحيات المسجلة، لا يمكن أن يكون لها نفس الوقع الذي يشعر به الجمهور وهو يتابع المسرحية بشكل مباشر على خشبة المسرح بشكل ملموس، كما يؤثر على الفنان بعد ذاته فهي عملية تبادلية، الممثل من خلال تفاعل الجمهور يتألق ويقدم أفضل ما لديه.

وأضاف الفنان سيف الغانم متحدنا عن تجربته في العمل الوطني بالتعاون مع المكتب الثقافي والإعلامي الذي عرض خلال اليوم الوطني، والذي كان سببا

بمشرعوها الدائم والمستمر والقديم بالشخص النسوية، فحضور المرأة بكل كيانها في هذه الأعمال يحمل قيمة كبيرة في مضمونها، تتجاوز قراءاتها وتأثيرها بهذه الفترة إلى حديث الحكايات بعين الماضي للجدات والأمهات.

وتحدثت الفنانة عن أهمية مهمة الفن التشكيلي، وأنه لو توفرت له البيئة الحاضنة والداعمة والمحفزة، سجدت تأثيرا مهما في الحياة الثقافية



فنانان يفككون الواقع الجديد

الفنانة التشكيلية  
د. نجاة مكيالصحف الغانم  
سيف الغانم